

أضواء البيان

@ 362 غَيْرَ سَاعَةٍ { والساعة : أقل من يوم أو بعضه ، وقوله : { كَأَن زَّهْمٌ }
يَوْمَ يَرَوْنَ نَهَا لَمْ يَلْبِثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا { وقوله : { كَأَن
لَّمْ يَلْبِثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ } وقوله
تعالى : { كَأَن زَّهْمٌ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبِثُوا إِلَّا سَاعَةً
مِّنَ النَّهَارِ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ } . .

وقد بينا الجواب عن هذا السؤال في كتابنا : دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب في
الكلام على هذه الآية بما حاصله : أن بعضهم يقول لبثنا يوماً أو بعض يوم ، ويقول بعض آخر
منهم : لبثنا ساعة ويقول بعض الآخر منهم : لبثنا عشراً . .

والدليل على هذا الجواب من القرآن أنه تعالى بين أن أقواهم إدراكاً ، وأرجحهم عقلاً ،
وأمثلهم طريقة هو من يقول : إنهم ما لبثوا إلا يوماً واحداً ، وذلك في قوله تعالى : {
يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا * زَّحْنُ أَعْلَامٍ بِمَا
يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا }
فآلية صريحة في اختلاف أقوالهم ، وعلى ذلك فلا إشكال والعلم عند الله تعالى . .

وقوله تعالى : { فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ } أي الحاسبين ، الذين يضبطون مدة لبثنا ،
وقرأ ابن كثير والكسائي بنقل حركة الهمزة إلى السين ، وحذف الهمزة . والباقون : فاسأل
بغير نقل ، وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي : قل كم لبثتم بضم القاف وسكون اللام بصيغة
الأمر ، وقرأ الباقون : قال كم لبثتم بفتح القاف بعدها ألف وفتح اللام بصيغة الفعل
الماضي . .

وقال الزمخشري ما حاصله : إنه على قراءة قال بصيغة الماضي فالفاعل ضمير يعود إلى
الله ، أو إلى من أمر بسؤالهم من الملائكة ، وعلى قراءة قل بصيغة الأمر ، فالضمير راجع إلى
الملك المأمور بسؤالهم أو بعض رؤساء أهل النار هكذا قال . والله تعالى أعلم . وقد صدقهم
الله جل وعلا في قلة لبثهم في الدنيا بقوله : { قَالَ إِنْ لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا
لَّوْ أَن زَّكُّمُ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } لأن مدة مكثهم في الدنيا قليلة جداً . بالنسبة
إلى طول مدتهم خالدون في النار ، والعياذ بالله . وقرأ حمزة والكسائي : قل إن لبثتم إلا
قليلاً بصيغة الأمر والباقون بصيغة الماضي .